

تخميس قصيدة (خليلي شوقي)

للسيد الأديب الفاضل أبو الغيث إبراهيم إبراهيم ماس القديمي (حفظه الله)

ألا طال هجراني وصدّي وجفوتي
ونار الأسى والحزن تضلّ بمهجتي
وقلّت وقد ملّيتُ من طول غربتي

(خليلي شوقي للعقيق ورامّة * وذكرى عريب للعذيب نزول)

فزورّة تلك الأرض يا قوم منيتي
وعشقي لمن فيها .. ديني وملّتي
وأشتاقهم في كل حين وساعة

(وما ذاك إلا أنّ ثمّ أحبّتي * فقلبي إلى تلك الديار يميل)

أما علّم الأحباب أنّي أسيرهم
وما زال وسط القلب باقٍ حضورهم
ووالله ما يوماً تعشّقتُ غيرهم

(ويا ليتني قبل الممات أزورهم * وتجمعنا بالرقمتين طلول)

فعنهم وأيم الله ما عدتُ أصبر
وحبّبي لهم ما زال أنقى وأطهر
وما غيرهم في البال يا قوم يخطُر

(إذا جاءني بالوصل منهم مبشّر * وهبت له روعي وذاك قليل)

فطوبى لأقوام .. عاشوا بروضهم
وبالوصل قد هنّى بعض لبعضهم
ويا ليتهم قد كان حظّي كحظّهم

(فيا طول أشواقي لتقيل أرضهم * فهل لي إلى تلك الديار سيل)

فقد زاد بي الهجرانُ والصَّدُّ والجفا

وَمِنْ جُورِ ما عانيتُ عشتُ على شفا

ولكنَّني ما زلتُ بالقوم مُدنفًا

(فمن أجلهم أشتاق زمزم والصفاء * وعندي من شوق المقام نحولُ)

سأبقى بهم ما عشتُ مضنيَّ متيماً

وشبُّتُ ولكنَّني ما زلتُ مغرماً

وقلتُ وقد أسمعتُ بالقول لَوَّماً

(فلا تنكروا يا قوم شوقي للحمى * ففيه لأجباب الكرام نزولُ)

فطوبى لهم سادوا بقوة دينهم

وحسنِ نواياهم وصدقِ يقينهم

فلا تعجبوا إن لذتُ يوماً لركنهم

(ولا تنكروا يا قوم عزة شأنهم * لأنني محبُّ والمحِبُّ ذليلُ)

وأقسمتُ أن أبقى أسير هيامهم

وإن لم أكنُ أحظى بنيلِ اهتمامهم

وإن هم أصابوني بنيلِ سهامهم

(فكم عاشق قد مات دون خيامهم * ولم يشف منهم بالوصال غليلُ)

ويا ليتَه قد حان يومَ وصالهم

لأروي ضمًا روحي بكأسِ مُدامهم

ولكنَّني إن متُّ دون مقامهم

(وكم من قتيل من نحول غرامهم * فسيف هواهم مرهفٌ وصقيلُ)

فقد عزَّ مَنْ قد لاذ بالقوم واحتَمَى

وأخلصَ للمولى تعالى وأسلمًا

وصلَّى على المختار طه وسلَّمَا

(فلولاه لم تسر الوفود إلى الحمى * ولا رفعت فوق الجبال حمولُ)

ولا قصَدَ الرُّكبان لولاه يثربا

ولا كان حادي العيس للقوم أطربا

فصلَّى عليه الله ما هبَّت الصَّبا

(ولولاه ما اشتاقوا العقيق ولا قبا * ولا شاقهم أزهاره ونخيلُ)

وساروا وبالأسفار للعيس انهكوا

ومن جور ما عانوه تالله ما اشتكوا

دعوهم أيأعْذال بالله واتركوا

(فكيف يلامُ العاشقون إذا بكوا * أَيْبُتْ مَعْ ذَكَرَ الحبيب عقول؟!)

فمن أجلهم جافَ المحبين نوْمُهم

ورقَّ لهم من كان يوماً يَلُومُهم

وفي حبيهم قد ذاب شوقاً نديمُهم

(أولئك قومٌ في التراب جسومهم * ومنهم قلوبٌ في السماء تجولُ)

فللقوم يُعزَى الفضلُ لاشك والحجَا

وفي دربهم من سار يا صاح قد نجا

وكيف وهم بالله قد علَّقوا الرِّجا

(وقد وقفوا بالباب في ظلمة الدجا * ودمعهم فوق الخدود يسيلُ)

وبالباب قد ألقى كلُّ بحملِه

وطوبى لمن قد فاز منهم بسؤلِه

وسبحان من جاد عليهم بفضله

(وقد هجروا طيب المنام لأجلِه * فنومهم جنحُ الظلام قليلُ)

ولا تعجبوا إن هم قضوا الليل سهرَةً

وبالذكر والطاعات زادوا مسرّة

ورُزُّوا على التقوى .. أهلاً وأسرة

(وقد أخلصوا لله سراً وجهرة * فصار لهم بين الأنام قبولُ)

فتلك حياتهم وتلك طقوسهم

وما غير دين الله دينٌ يسوسهم

وقد ملؤوا بالحبِّ منه كؤوسهم

(وقد أخلوا في الأرض منهم نفوسهم * وجُرت لهم فوق السماء ذبولُ)

هناك لهم جاهٌ رفيعٌ وحوزة

وكيف والطاعات فيهم غريزة

وللقوم عند الله لا شك ميزة

(لهم دولةٌ يوم المقام عزيزة * يناديهم ربُّ السما ويقولُ)

عبادي فلا خوفٌ عليكم يهزكم

وبشرى لكم منِّي ذا وقت فوزكم

فما كان مأمولاً أضحى بحوزكم

(ألا فاشفعوا فالיום أظهر عزكم * فإن لكم جاهاً لديّ جليلُ)

فطوبى لمن قد فاز منهم بقربه

ومن ربِّه قد نال غفران ذنبه

وما ذلك إلا فضل إلا لحبه

(ويبدوا لهم رب السماء بوجهه * ويرفع عنهم حجه ويزيلُ)

فبشرى لمن بالله دام اتصالهم

وطوبى لهم إن صار خيراً ما لهم
وكيف إذا المولى تعالى بدا لهم

(فهذي طريق الصالحين وحالهم * وقلبي عن طرق الصلاح يميل)

وقد مدَّ إبليسُ إليه رماحه
وما زال لا يدري أين نجاهه
وأملتُ من ربِّي تعالى صلاحه

(وقد كنتُ أرجو في الصيام فلاحه * وفي مثله كان الفلاح يؤول)

وقد حازَ كلَّ السبقِ فيه الأفاضلُ
وبيني وبين القومِ حالتُ مشاغِلُ
وبي اليوم لا أدري ما الله فاعلُ

(وقد زال عني الشهر والقلبُ غافلُ * كذلك قلبي غافلٌ وذهولُ)

مضى الشهرُ عني والتَّواني مصيبةُ
كأنَّ لم يكنْ لي في العبادة رغبةُ
فقصَّرتُ والتقصيرُ همٌّ وكربةُ

(وفازتُ بأوقات الصيام عصابةُ * ومثلي فقيرٌ دونهم وذليلُ)

فطوبى لمن صاموا وقاموا وشمروا
وويلٌ لمن مثلي.. فيه تأخروا
وإنِّي على التقصير هيهات أُعذرُ

(فيا معشر العاصين مثلي تحسروا * وخلّوا دموعاً بالخدود تسيلُ)

فما حيلتي والنفسُ ضلَّتْ سبيلها
كثيراً ونحو الشرِّ قد بان ميلها
سأبكي ولن يشفي بكائي غليلها

(على فوت أيام الصيام وفضلها * ففيها ثواب الصائمين جزيلاً)

فيا مَنْ تَوَقَّعْتُمْ فِي صُومِ شَهْرِكُمْ
وَلَمْ تَحْلُدُوا فِيهِ إِلَى طَيِّبِ نَوْمِكُمْ
سَلُوا اللَّهَ مَوْلَاكُمْ قَبُولَ صِيَامِكُمْ

(ويا معشر النوام عزوا نفوسكم * على فوت شهر ما لديه مثيلاً)

مَضَى الشَّهْرَ عَنَّا وَانْتَهَى مِثْلَ عَامِنَا
وَقَدْ قَلَّ بِالطَّاعَاتِ فِيهِ اهْتِمَامِنَا
أَلَا فَانشِدُوا يَا قَوْمَ عِنْدَ وَدَاعِنَا

(تَرَحَّلْتَ يَا شَهْرَ الصِّيَامِ بِصُومِنَا * فَيَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ لَذَاكَ قَبُولُ)

هَنِيئاً لَعِبْدِ فَازٍ فِيهِ بِنُفْحَةِ
مَنْ اللَّهُ بَلْ أُعْطِيَ بِهِ خَيْرَ مَنَحَةٍ
وَبِالْعِيدِ بَشَّرُهُ بِأُنْسٍ وَرَاحَةٍ

(فيا أيها المقبول عيِّدْ بفرحة * فهناك ربُّ بالثواب جزيلاً)

فَشَهْرُكَ قَدْ مَرَّ بِدُونِ خَسَارَةٍ
وَعَيْدُكَ قَدْ وَافَى بِكُلِّ مَسْرَةٍ
وَفُزْتَ مِنَ الْمَوْلَى تَعَالَى بِنَظَرَةٍ

(ويا أيها المطرود عيِّدْ بحسرة * فما العيد إلا أن يكون قبولُ)

تَدَارَكُنِي بِاللَّطْفِ يَا مَنْ خَلَقْتَنِي
إِلَهِي وَجُدْ بِالْعَفْوِ عَنِّي وَعَافِنِي
وَيَا مَنْ بَلََا حَوْلٍ مِنِّي رَزَقْتَنِي

(لئن كنت في شهر الصيام طردتني * فحزني في باقي الشهور طويلاً)

مَضَى الشَّهْرَ مَا أَدْرَكْتُ فِيهِ مَطَالِبِي

ويا ليت شعري أين ألقى حبايبي
وماذا بوسعي والزمان مُحاربي

(أيفرح قلبي والحبيب مجانبي * وليس يوافي بالوصال رسولُ)

ويا قوم ما جدوى حضور المحافلِ
وبُعدي عن الأحباب والصَّدقاتي
وقدرق لُوّامي لحالي وعاذلي

(فما العيد إلا والحبيب مواصلي * وما العيد إلا أن يزور خليلُ)

أيامَن بشهر الصوم زاد اهتمامكم
وفيه تجافيتم لطيب منامكم
ويامن أحرزتم .. فيه مرامكم

(ألا فاطلبوا منه قبول صيامكم * ونادوه في جنح الظلام وقولوا)

إلهي وجُدْ بالعفو عَنَّا وعافِنَا
والطف بنا وأحسن إلهي ختامَنَا
وياربِّ بَلِّغْنَا فيه مرامَنَا

(إلهي لا تردد علينا صيامنا * فما أنت يارب العباد بخيلُ)

وكيف وأنت الله ربُّ المكارمِ
وبالفضل قد أعطيت كُلَّ العوالمِ
دعوناك ارحمنا يا خير راحمِ

(وصل على المختار من آل هاشم * فمقداره حقاً لديك جليلُ)

مع الآل والأصحاب ما طائرُ شدى
وما حادي الركب ان سار وأنشدا
وما عابدُ الله قد بات ساجدا

(صلاة يفوح المسك منها مؤبدا * تدوم مدى الدنيا وليس تزول)

وكان الفراغ من تخميس القصيدة في يوم الاثنين ١٤ رمضان الكريم ١٤٤٢هـ (إمضاء) أبو الغيث إبراهيم ماس.

ثلاثة أبيات لم تخمس (١) البيت قبل الأخير (مع الآل والأصحاب ما انسجم الحيا) سقط من تخميس الماس

(٢) البيت السادس قبل الأخير (ألا فاطلبو في العيد منه وصاله). سقط من الحرد والماس.

(٣) البيت ١٣ قبل الأخير (وقد ضربت بوق الرحيل جيوشه). سقط من الحرد والماس.

التخميس في غاية الروعة والرقّة ..